سعدي يوسف، هو أيضا ليس من شعراء المنابر، الا أنه، في صمته، في غربته، في تشرد الدم من وجهه، كان أعمق ايقاعا من كل المنبريين. وكان كواحد من رهبان الصحارى، جاء في الوهن الأخير من الليل، حافيا وجائعا وغريبا، يقول كلمته ويمضي... وكان يختلط لهاثه بسعف النخل الذي لا يستطيع أن ينساه، بالرملة البيضاء في بيروت، بحما كل المنافي..

كان بعضا من مسيح لما يولد بعد، أو ولد منذ ألف عام، وكان بكلمة واحدة، الصدق متوحدا على أكثر من سارية مسافرة، باتجاه بحار العذاب. وكان صدقه قاسيا وراسخا، في مواجهة كل الزيف الذي لم يجرؤ على الاقتراب منه برغم ضيق المسافة. قصيدته المتداخلة بكل ما ذكرنا، كان عنوانها: «قرار الاغتراب».

«نخلة تنبت الآن في جذعك البرتقال
نخلة ما اظلت غريبا
نخلة خلفتني غريبا...
غالبتني واسقطت
ثم غادرتها...
انفضوا الرمل عني
انفضوا الذل عني
أهتدي للمحطات مهجورة
والمرايا التي غادرتها العيون...»

وسعدي، قد لا يكون في شعره انفعال أو اعجاز، الا أنه دائم دائما، وداثما مسكون بصور الاقبية والقمع والغربة.

صعد إلى المنبر، قال ما قاله، ثم غادره، لكأنه يمشي في نومه، في حلم مجهد، لكأنه شخص آخر، غير معني بكل ما من... وترك أطيب الأثر، نثر في أرجاء الأمسية عطر الصدق والمعاناة وعشق الوطن، ثم مضى متابعا الرحلة... رحلة الهجرة والاغتراب...

ثمة ملاحظة، تبدو لازمة، وهي ان بعض الشعراء، اثنان أو ثلاثة، أيضاً، جاؤونا بشعر مغنى، غناء صرفا. وغنوه بأصوات ناشزة لا علاقة لها بالغناء...

أكيد، ان ثمة شعراء يستحقون وقفات في هذه العجالة، عذرنا أننا لم نشأ أن نطيل أكثر، ولقد «اهتبلناها» فرصة، لنمرّ على شعراء آخرين، سقطوا في المنفى سقوطا مريعا، فتعمدنا عدم ذكرهم ليضيع القليل في غمرة الكثير. رحم الله ابن الرومي حين قال:

ألا ليس جزاء الله مقفرة يهجوه عني، فبي عن عرضه كسلُ

أيضا، ثمة ظاهرة، نشير إليها، دون أن نتوقف عندها، وهي محاولة البعض استجداء الجمهور وتجميع المصفقين والدخول في لعبة «الكواليس» المرضية. ظنا منهم، أنهم بذلك يكسبون لهم مكانا جديدا في دنيا الشعر. هذا المكان، الذي لا يكسبه، لو يعلمون، غير الشعر فقط... الشعر فنا وموقفاً، شاعرا وانسانا...

انها ظاهرة مرضية، نحن مع قطع دابرها بكل وسيلة ممكنة، حتى لو احتاج الأمر إلى قمعها وأصحابها، رغم كرهنا حد الرعب لمجرد تصريف فعل: قمع يقمع...

بقي أن نتوقف عند الندوة النقدية، هذه الندوة، التي لا بد لنا من أن نسجل ملاحظاتنا حولها، كي نتحاشى المثالب والهفوات التي ارتكبت فيها.

ادار الندوة الزميل الياس الخوري، وقدم الدراسات الثلاث فيها: فاروق عبدالقادر من مصر،